

المحاضرة الثالثة:

خلافة أبي بكر الصديق (11- 13هـ / 632- 634م).

أولاً: التعريف بالخليفة أبي بكر الصديق (أول خليفة للمسلمين)

1. نسبه ومولده: هو عبد الله بن عثمان بن عامر، من قبيلة تيم بن مرة بن كعب، وفي مرة بن كعب يلتقى نسبه مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر، تيمية كأيبه وكنيته: (أبو بكر)، ولقبه: (عتيق). وُلد سنة (573م) بعد مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بثلاثة أعوام، ونشأ في مكة، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر؛ لعلمه وتجارته وحسن مجالسته. وعُرف أبو بكر بترفعه عن عادات الجاهلية، وما كانوا يفترونه من مجون وشرب خمر، وارتبط قبل البعثة بصداقة قوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الاتفاق في الطباع وصفاء النفس من أقوى الروابط بين النبي و أبي بكر.

2. إسلامه: تُجمع مصادر السيرة والتاريخ على أن أبا بكر كان أول من أسلم وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم من الرجال الأحرار، وكان لسلامة فطرته التي كانت تعاف ما عليه قومه من عبادة الأوثان أثر في تبكيه بالدخول في الإسلام، وما إن دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام حتى أسلم على الفور؛ لثقتة بصدق النبي صلى الله عليه وسلم وأمانته، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة - تأخر في الإجابة- إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة، ما عكّم عنه - تأخر عنه - حين ذكرته له، وما تردد فيه».

ومنذ أن أسلم وهو يهب نفسه وماله لله ورسوله، فكان يشتري من أسلم من العبيد الذين كانت قريش تعذبهم، ويعتقهم كبلال بن رباح، وكان يزود عن النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما أوتى من قوة، فيروي البخاري عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قوله: «رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه، وخنقه به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر رضى الله عنه حتى دفعه عنه، فقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم».

ومن أجل مواقف أبي بكر تصديقه للنبي صلى الله عليه وسلم في حادث الإسراء، فحين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أسرعوا إلى أبي بكر يخبرونه، ظنا منهم أنه لن يصدق، فقال لهم: «والله لئن كان قاله لقد صدق، فإني أصدق في أبعده من هذا، أصدق في خبر السماء يأتيه في ساعة من ليل أو نهار»، فلقب بالصديق من يومئذ.

واختاره النبي صلى الله عليه وسلم -لثقتة- به ليرافقه في رحلة الهجرة دون غيره من الصحابة، ثم لازم النبي بعد الهجرة في ليله ونهاره، فلم يتخلف عن غزوة من غزواته أو مشهد من مشاهدته، وكان مجاهداً بنفسه وماله حتى وصفه النبي بقوله: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه بها، إلا أبا بكر، فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر». ومما لاشك فيه أن أبا بكر الصديق عند علماء الأمة أفضل المسلمين مطلقاً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودليل ذلك أنه جعله أميراً على الحج في العام التاسع من الهجرة، وأنابه في الصلاة عند مرضه - دون غيره -، وكان هذا أقوى مرشح له لتولي الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: أهم الأحداث التاريخية في خلافة الصديق.

1. مواقف الصديق من القضايا الحاسمة: كان أول القرارات التي اتخذها أبو بكر وأصعبها قراره بإفاد جيش أسامة إلى جنوبي الشام كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن الصديق أقدم عليه في ظروف دقيقة وحرجة، فالعرب قد ارتدت عن الإسلام، حتى مكة نفسها همت بالردة لولا أن سهيل بن عمرو روعهم قائلاً: «لماذا ترتدون والنبوة كانت فيكم، والخلافة أصبحت

فيكم؟»، وحاولت الطائف أن ترتد، فمنع من حدوث ذلك عقلاؤها؛ إذ قالوا لقومهم: لقد كنتم آخر من أسلم، فلا تكونوا أول من يرتد.

كما استفحل أمر مدعي النبوة؛ مسيلمة الكذاب في اليمامة شرقي شبه الجزيرة العربية، وطلحة بن خويلد الأسدي في بني أسد في منطقة بذاخة قرب المدينة المنورة، ولقيط بن مالك في عمان، والأسود العنسي في اليمن. كل أولئك ظهروا في أواخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه لم يحفل بهم كثيراً؛ لثقتة بالقدرة على القضاء على تلك الحركات. وفي الوقت نفسه أمر رسول الله أسامة بن زيد بالتوجه إلى جنوب الشام لتأديب القبائل القاطنة هناك التي تعادى المسلمين، ولتثبيت هيبة الإسلام في أعين الروم التي فرضها عليهم في غزوة تبوك، وللفت أنظار أصحابه إلى خطورة دولة الروم على الإسلام، لكن هذا الجيش لم يذهب لأداء مهمته؛ لمرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، فكان أول قرار للصديق هو تنفيذ ما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. لكن الصحابة عارضوا أبا بكر في قراره بإرسال جيش أسامة، وتعللوا بأن الردة قد عمّت شبه جزيرة العرب، وأن الخطر داهم ومحدد بهم، حتى لم تسلم منه المدينة نفسها، واشترأت أعناق أعداء الإسلام من يهود ونصارى وغيرهما، وتحفزوا للقضاء على الإسلام، ولذا فإن بقاء الجيش في المدينة ضرورة ملحة؛ لحمايتها من الأخطار المحدقة بها. لكن ذلك كله لم يثن عزيمة الصديق عن إرسال جيش أسامة، ووقف كالأسد الهصور يذود عن الإسلام باتخاذ ذلك القرار الصعب قائلاً: «والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تحطفتني لأنفذت بعث أسامة، كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته».

وقد ظهرت نتائج سياسة الصديق الموفقة عندما ذهب جيش أسامة وحقق ما قصده الرسول صلى الله عليه وسلم من أهداف، وعاد محملاً بالغنائم، وألقى الرعب والفرع في قلوب القبائل العربية التي مرّ عليها في شمالي شبه الجزيرة العربية وهو في طريقه إلى الشام؛ لأنهم قالوا: «لو لم يكن بالمسلمين قوة لما أرسلوا هذا الجيش الكبير إلى هذا المكان البعيد في مثل هذا الوقت»؛ ولذا كانت حركة الردة في المناطق التي مرّ بها أسامة بجيشه أضعف منها في أي مكان آخر من شبه الجزيرة العربية.

2. حركة الردة: يعدّ موقف الصديق من حركة الردة ومواجهته لها من أروع المواقف في التاريخ، لأنه آمن إيماناً عميقاً بانتصار الحق مهما تكن قوة أعدائه، وأظهر تصميمًا على الدفاع عن الإسلام مهما يبذل من جهد.

وقد بدأت حركة الردة بالقبائل التي منعت الزكاة كعبس وذبيان وغطفان وغيرها، حيث أرسلت وفدًا إلى المدينة، يعرض على الصديق مطالبهم، وأنهم لم يرفضوا الإسلام، ولكنهم يرفضون دفع الزكاة لحكومة المدينة؛ لأنها في ظنهم معرّة، ويعدّونها إتاوة تدفع لأبي بكر، ولم تدرك تلك القبائل أثر الزكاة في التكافل الاجتماعي بين المسلمين.

كان رأى فريق من الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب أن يستجيب أبو بكر لتلك القبائل، ولا يجبرها على دفع الزكاة، وخاصة أن المدينة مكشوفة، وليس بها قوة تحميها وتدافع عنها؛ لأن جيش أسامة لما يعد بعد من شمالي بلاد العرب، لكن الصديق لم يقتنع بهذا الرأي، وردّ على عمر بن الخطاب رداً جازماً قائلاً له: «والله لو منعوني عقلاً - الحبل الذي يجرُّ به الجمل - لجاهدتهم عليه». وكان هذا الموقف الثابت من الصديق في غاية الشجاعة والحزم، فماذا لو وافق أبو بكر عمر ومن معه على رأيهم؟ ربما شجع هذا التنازل قبائل أخرى، فتمتنع عن دفع الزكاة أسوةً بهؤلاء، ولربما تطور الموقف إلى أبعد من هذا، فتمتنع قبائل عن إقامة الصلاة أو غيرها من أركان الإسلام، ويكون هذا هدماً للدين من أساسه. وكان الصديق حين فعل هذا تمثّل واقتدى بموقف لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما جاءه وفد ثقيف يعلنون إسلامهم، ويطلبون منه إعفاءهم من أداء الصلاة، فرفض النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، وقال لهم: «لا خير في دين لا صلاة فيه»، ولعل الصديق قصد ذلك حين قال: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة». ولم يكن الصديق صاحب قرارات صائبة فحسب، بل كان يقرنّها بالعمل على تنفيذها، فلما رأى الغدر في عيون

مانعي الزكاة أدرك أنهم سيهاجمون المدينة على الفور؛ لأنهم عرفوا غياب معظم الرجال مع جيش أسامة، وأعلن حالة الاستعداد للدفاع عن المدينة عقب عودة المانعين إلى ديارهم، واتخذ مسجد رسول الله مقراً لغرفة عمليات عسكرية، وبات ليلته يُعدّ للمعركة ويستعد لها، وأمر عددًا من كبار الصحابة بحراسة مداخل المدينة، على رأسهم علي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم. وحدث ما توقعه الصديق، فبعد ثلاثة أيام فقط هاجم مانعو الزكاة المدينة، فوجدوا المسلمين في انتظارهم، فهزمهم المسلمون وردّوهم على أعقابهم إلى ذي القصة (شرقي المدينة).

ثم تعقبهم الصديق وألحق بهم هزيمة منكرة وفرت فلولهم، وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة، واتخذ الصديق من ذي القصة مكاناً لإدارة المعركة ضد حركة الردة كلها، وفي هذه الأثناء جاءت الأخبار بوصول جيش أسامة سالمًا غانمًا، فأسرع الصديق بنفسه لاستقبال قائد الجيش الشاب، الذي قام بهذه المهمة الخطيرة خير قيام، وبعد أن احتفى به وهنأه على عمله، أنابه عنه في حكم المدينة، وعاد هو إلى ذي القصة ليدبر المعركة مع المرتدين بعزيمة لا تلين.

3. أسباب الردة: قبل الخوض في الحديث عن مواجهة أبي بكر لحركة الردة ينبغي معرفة أسبابها التي جعلت تلك القبائل ترد بعد أن أعلنت إسلامها أمام الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة الأخيرة من حياته.

- **السبب الأول:** أن إسلام أغلب هذه القبائل كان ضعيفًا، فقد أذعنوا لقوة المسلمين، التي لم يكن لهم قبيل بمواجهتها؛ فاستسلموا ولم يسلموا إسلامًا حقيقيًا، فظنوا أن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ستفتت في عضد المسلمين، ولن يستطيعوا مواجهتهم.

- **السبب الثاني:** أن العصبية القبلية كانت عندهم قوية، فمعظم المرتدين الذين التفوا حول مدعى النبوة كانوا يعلمون صدق النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن كل قبيلة كانت تريد أن يكون لها نبي من أبنائها ولو كان كذابًا، كما لقريش نبي من أبنائها، وعبروا عن ذلك بوضوح وصراحة، فيقول أحد بني حنيفة لمسيلمة: "أشهد أنك كذاب، ولكن كذاب ربيعة - التي منها مسيلمة - خير من صادق مضر - التي منها محمد".

- **السبب الثالث:** أن زعماء القبائل وشيوخها كانوا مستفيدين من الوضع القبلي القديم؛ إذ كانت حياة معظم القبائل تقوم على الإغارة والسلب والنهب، ويأخذ شيوخها ربع ما تحصل عليه من تلك الغارات، ولذا تزعموا حركة الردة، وحرصوا أبناء القبائل عليها، ليستمروا في السيطرة على قبائلهم.

- **السبب الرابع:** أن الفرس والروم حاولوا القضاء على الإسلام باستخدام العرب وتحريضهم ومساعدتهم، فلما فشلوا في ذلك تدخلوا تدخلًا مباشرًا، فحرّض الفرس عرب الخليج على الردة، ثم أمدوا سجاح بنت الحارث - مدعية النبوة - بجيش كبير، قوامه أربعون ألف رجل، جاءت بهم من العراق التي كانت تحت الحكم الفارسي لمحاربة المسلمين، فلما فشلت تدخلوا مباشرة ضد المثني بن حارثة، الذي كان يحارب المرتدين على حدود العراق. وفعل الروم البيزنطيون ما فعله الفرس، فاعتدوا في حروب الردة على جيش خالد بن سعيد بن العاص في منطقة تيماء شمالي الحجاز، وألحقوا به هزيمة كبيرة وقتلوا معظم جنوده.

4. مواجهة حركة الردة: واجهها الصديق بأسلوبين:

- **المواجهة السلمية:** أراد أبو بكر الصديق أن يبصّر المرتدين بخطورة ما أقدموا عليه، فواجههم مواجهة سلمية بأن دعاهم إلى العودة بدون قتال إلى الإسلام الذي أكرمهم الله به، وأرسل إليهم كتابًا يقرأ على القبائل كلها؛ لعلهم يعقلون، جاء في آخره: «.. وإني بعثت إليكم فلانًا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته ألا يقاتل أحدًا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقرّ وكفّ وعمل صالحًا، قبل منه وأعانه عليه، ومن أبي أمرت أن يقاتله على ذلك، ثم لا يبقى على أحدٍ منهم

قدر عليه.. ولا يقبل من أحدٍ إلا الإسلام فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل جمع لكم، والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون فأذّنوا كُفّوا عنهم، وإن لم يؤذّنوا عاجلهم ..».

-**الاستعداد العسكري:** وفي الوقت الذي كان يأمل فيه أن يستجيب المرتدون، ويعودوا إلى دين الله دون قتال؛ كان يعد أحد عشر جيشًا في وقت واحد، تغطي المناطق التي ارتد أهلها في شبه جزيرة العرب، جاهزة للانطلاق إلى كل منطقة؛ ليشغل كل قبيلة بالدفاع عن نفسها في ديارها، ولا تأخذ فرصة للتجمع والتكتل ضده، وكان هذا تصرفًا بارعًا وحكيماً من الصديق، واختار لهذه الجيوش أمهر القادة وأكثرهم خبرة بالقتال، وهم:

-«خالد بن الوليد»، سيف الله وعبقري الحرب، وأمره بقتال المرتدين من بني أسد وغطفان وحلفائهم بقيادة طليحة بن خويلد في بذاخة، فإذا انتهى من مهمته توجه لقتال المرتدين من بني تميم في البطاح، إلى الشرق من ديار بني أسد.

- «عكرمة بن أبي جهل» وأردفه بـ «شرحبيل بن حسنة»، وأمرهما بالتوجه إلى مسيلمة الكذاب ومن معه في اليمامة، وأمرهما ألا يقاتلاه حتى يأمرهما بذلك، لمعرفة أبي بكر بقوة جيش مسيلمة، وأنها لن يقدر على هزيمته بسهولة، بل يشغله حتى يحين الوقت المناسب لإرسال قوات أكبر؛ لمواجهة بني حنيفة في جموعهم الكبيرة.

- «العلاء بن الحضرمي»، وأمره بقتال المرتدين في البحرين وما والاها.

- «حذيفة بن محسن»، وأمره بقتال المرتدين في دبا في جنوبي شرقي شبه الجزيرة.

- «عرفجة بن هرثمة»، وأمره بقتال المرتدين في مهرة في جنوبي شبه الجزيرة.

- «المهاجر بن أبي أمية المخزومي»، وأمره بقتال المرتدين في جنوبي اليمن.

- «سويد بن مقرن»، وأمره بقتال المرتدين في تهامة اليمن على ساحل البحر الأحمر.

- «عمرو بن العاص»، وأمره بقتال قبائل قضاة في الشمال.

- «معن بن حاجز» وأمره بقتال المرتدين في هوازن و بني سليم.

- «خالد بن سعيد بن العاص»، وأمره أن يعسكر في تيماء، ولا يقاتل أحدًا إلا إذا قوتل.

5. أهم معارك حروب الردة:

لم يستجيب المرتدون لدعوة أبي بكر السلمية، فبدأ قاداته ينفذون ما عهد إليهم من مهام، وخاض خالد بن الوليد أول معارك الردة في بذاخة ضد المرتدين من غطفان وبني أسد وحلفائهم ممن التفوا حول طليحة بن خويلد الأسدي مدعي النبوة، وكان النصر حليف خالد، بعد أن ألحق بهم هزيمة منكرة وغنم كثيرًا، وأرسل عددًا من زعمائهم أسرى إلى الخليفة، وفرّ طليحة، وظهر كذبه، ويجدر بالذكر أن طليحة قد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه في عهد أبي بكر الصديق، واشترك في الفتوحات الإسلامية في فارس، وفي عهد عمر بن الخطاب، وكان له دور بارز فيها. وبعد ذلك توجه خالد بن الوليد إلى البطاح في نجد لقتال المرتدين من بني تميم بزعامة مالك بن نويرة، ونجح في إلحاق الهزيمة بهم، والقضاء على الردة في بلادهم.

معركة اليمامة: اليمامة مصطلح جغرافي قديم، يشمل المناطق الشرقية من شبه الجزيرة العربية التي تقع فيها الآن مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية. ووقعت معركة اليمام» نفسها في مكان قريب من هذه المدينة.

وسبق أن ذكرنا أن أبا بكر أرسل «عكرمة بن أبي جهل» و «شرحبيل بن حسنة» للوقوف في وجه مسيلمة، ولم يأمرهما بقتال؛ لكنهما تعجلا مخالفين أوامر الخليفة، واشتبكا مع مسيلمة في حرب لم يصمدا فيها، وعادا منهزمين، ولعلهما أرادا أن يتشبها بخالد بن الوليد حتى يحوزا أكاليل النصر، كما حازها هو. وما إن وصلت أنباء هزيمتهما إلى أبي بكر حتى غضب غضبًا شديدًا، وطلب

منهما ألا يعودا إلى المدينة، وقرر في الوقت نفسه أن يرسل خالد بن الوليد إلى اليمامة للقضاء على فتنة مسيلمة، فهو أصلح الناس لهذه المهمة. وكان خالد قد فرغ من القضاء على فتنة المرتدين من بني أسد وغطفان وتميم، فجاءته أوامر من أبي بكر بالتوجه إلى اليمامة للقضاء على فتنة مسيلمة الكذاب.

امتثل «خالد بن الوليد» لأوامر الخليفة، وسار في صحراء وعرة نحو ألف كيلو متر، حتى التقى بجيوش مسيلمة - وكانت نحو أربعين ألفًا - في مكان يسمى عقرباء في حين كانت قوات خالد تبلغ نحو ثلاثة عشر ألفًا، فيهم عدد كبير من المهاجرين والأنصار، ودارت الحرب بين الفريقين، وكانت حربًا شرسة، اشتدت وطأتها على المسلمين في البداية، وكادوا يهزمون، لولا أن زار خالد كالأسد المصور، ونادى بأعلى صوته «وامحمداه»، وكان شعار المسلمين في المعركة، فاشتعلت جذوة الإيمان في القلوب، وهانت الحياة على النفوس، وأقبل المسلمون على القتال دون خوف أو وجل، طمعًا في النصر أو الشهادة، وصبروا لأعداء الله حتى هزمهم هزيمة منكرة، وقتلوا مسيلمة الكذاب مع نحو عشرين ألفًا من رجاله، واستسلم من بقى من قواته أسرى للمسلمين، واستشهد من المسلمين أكثر من ألف ومائتي رجل، منهم عدد كبير من القراء وحفظة القرآن الكريم.

وحين ترامت إلى المرتدين أخبار انتصارات خالد وما فعله في بني حنيفة، وقر في أذهانهم أن المسلمين لا يهزمون؛ ولذا كانت مهمة بقية القادة في المناطق التي توجهوا إليها أقل صعوبة مما واجهه خالد بن الوليد في اليمامة. وقبل أن يمضى عام على بدء حركة الردة كان أبو بكر الصديق قد نجح في القضاء عليها في كل مكان، وعادت شبه الجزيرة العربية موحدة دينيًا وسياسيًا تحت لواء المسلمين وحكومتهم في المدينة على ما كانت عليه في آخر حياة الرسول.

6. الفتوحات الإسلامية في عهد الصديق:

من يتتبع حركة الفتوحات الإسلامية خارج شبه الجزيرة العربية يجد أنها جاءت استطرادًا، وجاءت تحت ضغط الظروف، وأن المسلمين اضطروا إليها اضطرارًا؛ إذ لم يكن لهم برنامج أو خطة معدة من قبل للفتح أو التصادم مع الآخرين؛ لأن نشر الإسلام، وهو الغاية الأولى للمسلمين لا يتطلب أعمالًا حربية أو الدخول في معارك عسكرية، وكل ما كان يطلبه المسلمون هو أن يفسح لهم الآخرون الطريق ليدعوا إلى دينهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكن الفرس والروم لم يعطوا المسلمين هذه الفرصة، فكادوا لهم واعتدوا عليهم، مما اضطر المسلمين إلى خوض الحروب معهم، ورد عدوانهم، وتحقيق الحرية لنشر العقيدة الإسلامية دون عوائق.

فتح العراق: في أثناء حروب الردة طارد المثنى بن حارثة - أحد قادة المسلمين - المرتدين إلى الشمال، على الساحل الغربي للخليج العربي، فلما وصل إلى حدود العراق تكاثرت عليه قوات الفرس، بعد أن رأوا فشل عملائهم من المرتدين في القضاء على الإسلام فألقوا بثقلهم في المعارك ضد المسلمين. ولما رأى المثنى أنه غير قادر بمن معه على مواجهة القوات الفارسية، أرسل إلى الخليفة يشرح له الموقف، ويطلب منه المدد، فأدرك الخليفة خطورة الموقف، ورأى أن يردع الفرس ويرد عدوانهم، فرماهم بخالد بن الوليد أعظم قواده، وأردفه بعباس بن غنم. وفي المحرم من العام الثاني عشر من الهجرة تحرك خالد بن الوليد من اليمامة، وكان لا يزال بها، بعد أن قضى على فتنة مسيلمة الكذاب، وتوجه إلى العراق. حيث خاض سلسلة من المعارك ضد الفرس في خلال عدة شهور، في ذات السلاسل والمذار، والولجة، وأليس، وهذه أسماء الأماكن التي دارت فيها الحروب، وكان النصر حليفه فيها، ثم توج انتصاراته بفتح الحيرة عاصمة العراق في ذلك الوقت، واستقر بها في شهر ربيع الأول من العام نفسه، ثم فتح الأنبار و عين التمر إلى الشمال من الحيرة، ثم جاءته أوامر من أبي بكر أن يعود إلى الحيرة ويستقر بها إلى أن تأتيه أوامر أخرى.

وخلاصة القول أنه في خلال بضعة أشهر نجح خالد في فتح أكثر من نصف العراق، وصالح أهله على دفع الجزية، ولم يجبر أحدًا على الدخول في الإسلام.

فتح الشام: كان خالد بن سعيد بن العاص، أحد قادة حروب الردة، معسكرًا بقواته في تيماء شمالي الحجاز بأمر من الخليفة الذي ألزمه بالألا يقاتل أحدًا إلا إذا قوتل، وقصد الخليفة بذلك أن يكون هذا الجيش احتياطيًا، يمد -عند الضرورة - القوات المحاربة في جهات أخرى، وأن يراقب تحركات الروم؛ لأنه كان على يقين أنهم سوف يستغلون فرصة انشغاله بحروب الردة، ويكرروا عدوانهم. وحدث ما توقعه أبو بكر الصديق، فقد هجم الروم على جيش خالد، ومعهم القبائل العربية القاطنة في الشام، وألحقوا به هزيمة قاسية، وقتلوا معظم جنوده، واستشهد ابنه في المعركة، فلما وصلت أخبار الهزيمة إلى الخليفة أبي بكر جمع كبار الصحابة لدراسة الموقف، فاستقر رأيهم على ضرورة صد العدوان، وشرع أبو بكر في حشد أربعة جيوش لتحقيق ذلك:

- جيش بقيادة «أبي عبيدة بن الجراح» وجهه إلى حمص شمالي الشام.
 - وجيش بقيادة «يزيد بن أبي سفيان»، ووجهه إلى دمشق في وسط الشام.
 - وجيش بقيادة «شرحبيل بن حسنة»، ووجهه إلى الأردن.
 - وجيش بقيادة «عمرو بن العاص»، ووجهه إلى فلسطين.
- وقال أبو بكر لقادة جيوشه: «إذا عملتم منفردين، فكل واحد منكم أمير على من معه من قوات - وكان مع كل واحد منهم نحو ثمانية آلاف جندي - ثم أمير على المنطقة التي يفتحها، أما إذا ألبأتكم الظروف إلى الاجتماع في مكان واحد، فالقائد العام أبو عبيدة بن الجراح».

موقعة اليرموك: تحرك القادة الأربعة بجيوشهم، فلما دخلوا جنوبي الشام، وجدوا جيشًا روميا، قوامه نحو (250) ألف جندي، بقيادة «تذراق» أخي هرقل، يساندهم نحو ستين ألفًا من العرب - تقريبًا - بقيادة جبلة بن الأيهم الغساني، فلم يستطيعوا الالتحام مع هذه الجموع الحاشدة، فدارت بينهم مراسلات تجمعوا بعدها في وادي اليرموك، تحت قيادة «أبي عبيدة بن الجراح».

لكن تجمعهم لم يؤد إلى تحريك للموقف ضد الروم، فأخبروا الخليفة أبا بكر بما هم فيه، وطلبوا المدد منه، فرأى أنه لن ينقذ الموقف في الشام سوى خالد بن الوليد، وقال عبارته المشهورة: «والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد»، ثم كتب رسالة إليه: «أما بعد فإذا جاءك كتابي هذا، فدع العراق، وأخلف فيه أهله الذين قدمت عليهم وهم فيه وامض متخفًا في أهل القوة من أصحابك الذين قدموا العراق معك من اليمامة، وصحبوك من الطريق، وقدموا عليك من الحجاز، حتى تأتى الشام، فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين، فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة والسلام عليك». امثل خالد لأوامر الخليفة، وسار من العراق في سبعة آلاف جندي في واحدة من أجراء المسيرات العسكرية في التاريخ وأكثرها خطرًا، حيث قطعوا أكثر من ألف كيلو متر في ثمانية عشر يومًا، في صحراء قاحلة مهلكة، حتى وصلوا إلى وادي اليرموك فتسلم خالد بن الوليد القيادة من أبي عبيدة وخاض معركة مع الروم تُعد من أعظم المعارك وأبعدها أثرًا في حركة الفتح الإسلامي، وسحق جيش الروم الذي كان يعد يومئذ أقوى جيوش العالم، إذ قتل منه نحو مائة وعشرين ألفًا، وقد أدرك «هرقل» إمبراطور الروم حجم الكارثة التي حلت بجيشه، فغادر المنطقة نهائيًا، وقلبه يقطر دمًا، ويتحسر على جهوده التي بذلها في استرداد الشام من الفرس، ثم ها هي ذي يفتحها المسلمون، وقال: «السلام عليك يا سوريا، سلامًا لا لقاء بعده، ونعم البلد أنت للعدو وليس للصدى، ولا يدخلك رومي بعد الآن إلا خائفًا». وقد استشهد من المسلمين نحو ثلاثة آلاف، وقد فتح هذا النصر العظيم الطريق لفتح بقية الشام، الذي تم في عهد الفاروق.

7.الجمع الأول للقرآن في عهد أبي بكر الصديق:

فزع عمر بن الخطاب لاستشهاد عدد كبير من حفظة القرآن في حروب الردة، وبخاصة معركة اليمامة، فأشار على أبي بكر بضرورة جمع القرآن في مصحف واحد؛ خشية أن يُستشهد عدد آخر من الحفاظ، فيضيع القرآن، أو يدخله تحريف إذا تباعد الزمن بين نزوله وجمعه، كما حدث للكتب السابقة.

تردد أبو بكر في بادئ الأمر من اقتراح عمر، وقال: «كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم»، فقال له عمر: «أرى والله أنه خير»، فلم يزل عمر بأبي بكر حتى قبل، ثم استدعى أبو بكر زيد بن ثابت الأنصاري، وكلفه بمهمة جمع القرآن، قائلاً له: «إنك رجل شاب عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه»، فقبل زيد هذه المهمة الثقيلة، وبدأ في تتبع القرآن، وجمعه من الرقاع والعظام، والعسب (سعف النخل) التي كان مكتوباً عليها ومن صدور الرجال، وجعل ذلك في مصحف واحد. وقد ظل هذا المصحف عند أبي بكر، ثم انتقل بعد وفاته إلى عمر بن الخطاب، ثم انتقل بعد وفاته إلى ابنته أم المؤمنين حفصة، وفي عهد عثمان دعت الضرورة إلى جمع الناس على قراءة واحدة، فأخذ عثمان منها، ونسخ منه عدة نسخ ووزعها على الأمصار. وهكذا تَوَجَّح أبو بكر الصديق أعماله الجليلة بجمع القرآن.

8. وفاة أبي بكر الصديق: قضى أبو بكر في الخلافة سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام قام فيها بجلائل الأعمال، ونهض بمسئولية قيادة الدولة على خير وجه، وعاش حياته للإسلام وللمسلمين، ووهب حياته لخدمة رعيته، والدفاع عن عقيدتها، دون أن يأخذ أجرًا على تحمله تبعات هذا المنصب الجليل (منصب الخليفة)، وعاش مثل بقية رعيته دون أن يمتاز عنهم في مسكن أو ملبس، بل إنه رد ما خصصه له كبار الصحابة من راتب ضئيل، كي يترك التجارة ويتفرغ لمنصبه. وفي أواخر شهر جمادى الآخرة من العام الثالث عشر للهجرة، فاضت روح أبي بكر إلى بارئها بعد مرض استمر أسبوعين، كان سببه الحمى، وتولى بعده الفاروق عمر بن الخطاب الخلافة.

ثالثاً: العبر والعظات.

1. تطبيق مبدأ الشورى بين الصحابة:

أ/ في أمر الخلافة: الثابت تاريخياً أن رسول الله لم يعين للمسلمين خليفة ولم يحدد طريقة اختيار الحاكم من بعده وإنما أوضح القواعد العامة التي يجب أن يراعيها الحاكم في سيرته مع المسلمين. لهذا تم اختيار الصديق للخلافة عن طريق الشورى، وقد اشترك في هذا سائر أهل الحل والعقد من الصحابة بما فيهم علي بن أبي طالب، وقد دل هذا على أن شيئاً من النصوص (من القرآن والسنة) لم يقض بحق الخلافة بعد رسول الله لأحد حتى أبو بكر لم يكن هناك نص صريح على خلافته، ولو كان موجوداً لواجه به الأنصار يوم السقيفة، ولما كان للشورى فائدة، ولما جاز للصحابة النقاش والحوار والنص بين أيديهم.

ب/ في مختلف الأمور: طبق الصديق مبدأ الشورى عملياً في خلافته القصيرة المدة ليكون قدوة لمن بعده من الخلفاء ومن ذلك: - طلبه من أسامة بن زيد - عند خروجه لقتال الروم - أن يبقى على عمر ليستعين برأيه على أمور المسلمين، وقد كان كذلك فقد شاوره وناقشه في قتال مانعي الركاة.

- مشاورته للصحابة في قتال الروم ورد عدوانهم لما هاجموا جيش الصحابي خالد بن سعيد بن العاص..

- مشاورته مع الفاروق وباقي الصحابة في أمر جمع القرآن الكريم.

2. مواقف الصديق رضي الله عنه: منها:

- شجاعته في إمضاء جيش أسامة وتحقيق ما تمناه رسول الله قبل وفاته وحنكته السياسية في إلقاء الرعب بقلوب القبائل المرتدة التي مر عليها الجيش في طريقه إلى الشام، إضافة إلى أنه عاد غانماً بعد ذلك.
 - إصراره على مقاتلة المرتدين ومانعي الزكاة وفطنته الحربية في حراسة المدينة والدفاع عنها، وبراسته بغدرهم وخيانتهم.
 - إقدامه بنفسه وجراته في الخروج إلى الجهاد، منها إدارته للحروب في ذي قبة رغم رجوع جيش أسامة منتصراً.
 - إحساس الصديق بالمسؤولية الكاملة لهذا الدين بعد موت صاحب الرسالة وذلك من خلال كتبه وخطبه منها:
 - خطبة البيعة: الداعية إلى الرجوع إلى الله وإقامة العدل وتأسيس مبدأ محاسبة الولاة والدعوة إلى الجهاد والتمسك بالطاعات..
 - كتابه إلى المرتدين: يدعوهم إلى الرجوع إلى داعية الله والعمل الصالح والتمسك بالدين الحق..
 - وصيته إلى القادة الأربعة المتوجهين إلى قتال الروم في اليرموك: بتقوى الله وحسن الصحبة وإقامة الصلوات والقنود الحسنة..
 - وصيته إلى أسامة وجيشه: بالأخلاق الحسنة وحسن معاملة الضعفاء وأهل الكتاب..
 - من المبادئ التي تمسك بها الصديق في مواجهة المرتدين ما يلي:
 - عدم التفريط أو التساهل في تطبيق أي ركن من أركان الإسلام، ولا المساومة في أي واحدة منها.
 - رفع الروح المعنوية لدى المسلمين، وتذكيرهم بالجهاد والدفاع عن الإسلام..
 - كسب تأييد القلة التي ما زالت على إسلامها وجعلها عوناً للمجاهدين.
 - سياسة الحزم والشدة اتجاه المشركين بعد دعوتهم بالتي هي أحسن.
3. الذي عليه جمهور علماء أهل السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعين خليفة له، ولم يوص بتعيين أحد، فلو أنه حدد لهم شخصاً بعينه وجعله خليفة عليهم؛ لظن بعض الناس أنه تعيين من الله ورسوله، وسيضفى على هذا الشخص نوعاً من القداسة تجعله فوق النقد والمحاسبة، وهذا أمر خطير لا محالة، فولي الأمر عند المسلمين بشر، يخطئ ويصيب، فإذا أصاب أعانوه، وإذا أخطأ قوموه. وكما لم يعين النبي صلى الله عليه وسلم شخصاً بعينه لتولي الأمر من بعده، فإنه لم يحدد للمسلمين أيضاً الطريقة التي يختارون بها من يتولى أمورهم؛ لأنها تخضع لتطور الظروف والأحوال، ومن هنا كان في ترك النبي لهذا الأمر مصلحة للمسلمين، حتى لا يقيدهم بشخص، أو بطريقة معينة، وقد فهم الصحابة مراد نبيهم وقصد من عدم التعيين، وتصرفوا على أساسه.
- وكل ما يمكن قوله إن النبي أوماً إمامة خفيفة ذات مغزى بتقدمه «أبا بكر» ليؤم المسلمين في الصلاة أثناء مرضه، وكأنه عليه الصلاة والسلام قد رشح «أبا بكر» للخلافة، وهو مجرد ترشيح وليس إلزاماً، وكأنه أراد أن يقول: إذا رأيتموه جديراً بالخلافة وأهلاً لها وقادراً على تحقيق مصلحتكم في دينكم وديناكم فأنتم وذاك، وإلا فلتروا رأيكم.

4. صور الردة: ردة وادعاء النبوة، وردة ومنع للزكاة.

5. فتنة الردة كما كشفت زيف الزائغين وريب المرتابين فهي قد كشفت أيضاً إيمان الصحابة المتين والفاء والصبر واليقين المبين..

6. كانت الحرب ضد المرتدين حرباً دفاعية لحماية الدولة الناشئة وليست حرباً هجومية.

7. الجهاد في سبيل الله والفتح الإسلامي لا يكره الناس على الدخول في الإسلام بالقوة والسيف، وإلا لما وجدنا شيئاً اسمه "الجزية"،

وفي نفس الوقت يزيل الحواجز والعوائق أمام طريق الدعوة والرسالة، ويرد العدوان ويحمي المستضعفين.